زينب
حسين النائلي
Bazaart

-1-

في ربيعي العشرين اتخذت أحد أسوء قرار في حياتي، قررت ترك المدرسة بعد رسوب عامين متتاليين في السادس الاعدادي. كنت أظن حينها -وكان غباءً مني- أني سأتزوج من شاب عادي لديه عمل جيد سينفق عليّ وعلى اطفالي إن جاءوا، ولا حاجة لي لعمل ولا لشهادة جامعية. وكما توقعت تقدم لي شاب يكبرني بثلاث أعوام بعد مدة ليست بطويلة من تركي للمدرسة. كان ابن احد اصدقاء والدي القدامى حين كان يقطن الريف - قيل لي هذا لكني ولدت في المدينة- كنت بادئ ذي بدء ارفض الأمر رفضاً قاطعاً. كيف لفتاة مثلي تخاف من اضحية العيد ان تعيش بمنزل مساحة الحظائر فيه تفوق مساحة بيت البشر؟

ولكن بسبب غبائي استطاعت أمي وأم علي وهو اسم الشاب الذي تقدم لي أن يقنعاني بطريقة او بأخرى. وتم الاتفاق على أني سأعمل على اعمال المنزل ولا أقترب بشبر واحد من الفعاليات الريفية- هكذا كنت اسمي الرعي والجز ورعاية الماشية- وعلى علي ان يعمل بأقصى جهد لشراء منزل لنا في المدينة. وهكذا تزوجت من علي.

-2-

في الأسابيع الثلاث التي تلت الزواج كان كل شيء طبيعي تقريباً. زارني عدد كبير من الناس للتهنئة حتى أن بعض صديقاتي من المدرسة جاءن للريف ليباركن لي. وبدأت بعد ثلاث أيام من الزواج بالمساعدة بأعمال المنزل مساعدة خفيفة وكانت أم علي والتي اناديها (عمة) وزوجة أخو علي وهي سمر يساعدانني في الاعمال. وفي الاسبوع الثاني إعتاد أهل علي عليّ وأصبحت تقريبا جزء من البيت وبدأت الأعمال المنزلية بالانهمال على رأسي كمطر بداية الشتاء. وبدأً من هذا الأسبوع أصبحت الاعمال المنزلية وظيفتي الرسمية وقلَّتْ مساعدة عمتي لي وسمر ولكنهما والحق يُقال يساعدانني في أعمال لم أكن أجيدها كالخبز والذي في يوم من الايام وعندما كانت يدي داخل التنور لوضع العجيبة لذع التنور معصمي. ومازال أثرها موجود إلى اليوم. لم يكن للرجال حضور دائم في المنزل فالأطفال في الريف يلعبون أغلب الاوقات خارج المنزل أو يرافقون الكبار بالرعي او غيرها. وعلي كان يخرج للعمل في مصنع للألبان الساعة السادسة والنصف ولا يعود قبل السابعة مساءً. وأما أبوه والذي أناديه (عمي) كان يخرج مبكرا لرعي البقر والاغنام ثم يعود بالحادية عشر صباحاً عندها غالباً ما يطلب مني كأس شاي بأسلوب لطيف عكس عمتي التي تأمر ولا تطلب. وبعدها يتغدى ويشرب الشاي مرةً اخرى وينام حتى العصر ليخرج

للرعي ثانيةً. وهكذا تكون أمور المنزل كلها بيد النسوان. حين مر شهر على الزواج حدثت أول مشكلة بيني وبين علي فكنت أشعر أني حامل وهذا مالم اكن ارغب به، فمن تلك التي تريد حملاً بعد الزواج بشهرٍ واحد؟ ولكن علي بقي مصراً ورفض فكرة الاجهاض او أي خطة أخرى لمنع لتأخير النسل ورغم عدم رضائي بالامر إلا أني سرت على رأيه فما رغبت بصنع مشكلة كبيرة مع زوجي بعد قرابة شهر من الزواج. عرفتني هذه الحادثة على أحد أسوء عادات علي وهي التسلط فهو لا يناقش إنما يأمر وعليكَ كمقابل أن تقول حاضر.

- أنتِ المسؤولة عن البيت والذي به!

هذه هي الجملة التي كلما إلتقطتها أذني أيقنت أن مشكلة مع عمتي وبالتالي مع علي قادمة. فبعد أن زالت عني حصانة (الزوجة الجديدة) أصبحت كل أعمال المنزل عليّ وحدي، أكنس المنزل عدة مرات في اليوم أمسح الارضية أغسل صحون الفطور والغداء والعشاء وفوقها أي صحون إضافية وأغسل الملابس، أطبخ لهم الوجبات الثلاثة كلها وهذا كله بلا مساعدة تُذكر، فكانت عمتي وسمر يساعدانني بسبب حصانة الزوجة الجديدة أما بعد زوالها وقد حدث هذا بعد شهرين من الزواج أصبحتُ المسؤولة عن كامل المنزل. إستيقظت في أحد الأيام بمزاج شديد السوء وتزامن هذا مع عطب الغسالة فعندما عادت عمتي بالخامسة عصراً من عزاءٍ كانت به بدأت بتوبيخي بشكل لم أعهده قبلاً وحتى حين أخبرتها عن عطب الغسالة انفجرت غاضبة أكثر بوجهي فهي ابتغت مني غسل الملابس يدوياً وهذا عمل لم أقم به من قبل، ولئن مزاجي كان متعكرا وكان وجهها المليء بالدهون يزعجني لسبب أجهله انفجرتُ صارخة بوجهها :

- لن أغسل شيء بيدي واذا لم يعجبك أغسلي أنت

ودخلتُ لغرفتي غاضبةً منزعجة وظلت هي تتكلم مع نفسها ومع سمر حول الأمر كأني أكلت من شجرة المعرفة لا صرخت بوجهها. وبقيت على هذا الحال حتى حتى عاد علي من العمل، ولئن المصائب لا تأتي فرادى فقد كان علي بمزاج أقل ما يقال عنه أنه سيء، كان وجهه الاسمر مظلماً وعيناه يظهر عليهما الغضب كالكلب المسعور، وما أعطت له عمتي دقيقة ليستريح حتى بدأت تشكو له وجعلت جملتي جُملاً وصرختي صرخات. فدخل علي الغرفة فنهضت بسرعة لأرحب به ولكن صفعة سريعة منه أرجعتني للسرير.

- صرخت على أمي؟ بعمرك هي؟

كانت هذه المرة الأولى التي يضربني بها علي وما كان من ردة فعل غير البكاء الذي اوقفه عن توجيه الصفعة الثانية.

- قومي جهزي العشاء
قال هذا غبر آبهٍ بدموعي. فهززت رأسي رافضةً فوجه لي نظرة أقل ما يقال عنها انها مرعبة. كان سيوجه الصفعة الثانية لولا أن شيئا بداخله منعه وطلب من سمر تحضير العشاء.

-3-

بعد هذه الواقعة أيقنتُ أن زواجي من علي كان أسوء قرار بحياتي، كرهته وكرهتُ تينيك العينين الغاضبتين. ولكن هل يُصلح العطار ما أفسده الزمن؟
رغم حملي لطفله في بطني لم يتوقف العنف بل كلما مر الوقت اشتد العنف.
وعلى سبيل المثال لا الحصر في مرة من المرات وانا في بيت أهلي خرجتُ مع أمي للسوق، ونادراً ما كنت أذهب للسوق أنا وعلي فبعد الزواج منعني علي من الذهاب بمفردي للسوق وإن ذهب معي لا يدعني أتسوق بحرية بداعي الغيرة. ولاصدق القول كان مشهد السوق جميلاً وشعرتُ بشيءٍ من الحرية أحسُّ أني فقدته بعد الزواج، كنت أدخل الدكاكين والمحلات براحتي أرى وأعاين وافاوض البائعين حول الأسعار وهذا ما كان علي يمنعني منه. اشتريت بكل ما أملك من أموال وزادتني أمي فوقها 30 ألف دينار. بقيت ثلاث أيام في بيت أهلي بعد شجار مع علي وعمتي الذان أرادا مدة الزيارة يوماً واحداً. وعندما عدت للريف كان مزاجي بأفضل حال لدرجة أني لم أهتم لكلام عمتي حول تراكم الاعمال عليها ولا لرأي سمر حول الاسعار التي اعتبرتها باهضة. ولم يدم مزاجي الحسن كثيراً فعند غروب الشمس عاد علي كالعادة وبعد العشاء الذي جاورته وأكلنا من نفس الطبق دخلنا لغرفتنا بعد ان غسلت الصحون، عندها أخرجت من الخزانة بنطالاً اشتريته لعلي وقلت له فرحةً:
- الاسود سيكون رائع عليك
فرد عليّ وهو يتفحص البنطال بعينيه:
- حلو من جلبه؟
- أنا وأمي خرجنا للسوق
- ذهبت للسوق؟
- أي نعم
- لماذا لم تخبريني ؟
عرفتُ ان الامر سيؤل لمشكلة بمجرد النظر لعينيه فحاولت تهدئة الوضع بسرعة:

- ظننتُ أنك ستكون مشغول في المصنع ولم أرغب بإزعاجك
صرخ بوجهي:
- أيُّ امرأة تخرج بدون علم زوجها ؟
قلت متلعثمة:
- خرجتُ مع أمي والسوق ق...قريب من بيت اهلي
نظر لي بتلك العيون التي ترعبني بحق، عيون تراني كملكية خاصة له والتي كلما أراها أعرف أنه سيقدم على العنف.
- ارتحتِ عندما عرضتِ نفسك لكل من في السوق؟
كانت هذه الجملة كفيلة بجعلي أنسى هدفي بمنع تفاقم المشكلة، وقلت معاندة:
- هل تراني قبحة؟ خرجت للسوق مع وأنا ارتدي حجابي وعبائتي
انزعج من نظراتي فصرخ قائلا:
- من تخرج بلا علم زوجها فهي قحبة!!
اشرت لبطني وقلت بعنادٍ أشد مما سبق:
وهل تزوجتَ قبحة؟ وستنجب منها طفلاً ؟
اضاف كلامي هذا على نار غضبه بنزيناً فنهض متوجها نحو بنطاله الذي رماه على العثمانية واخرج الحزام منه وقال:
- القحبة تُربى كي لا تعيد فعلتها
وانهال علي بوابلٍ من الضربات بحزامه الجلدي، لم يفرق بين ظهري وقدمي ويدي وكامل جسدي، وكنت أصرخ وابكي ولا رد من أحد رغم أني متأكدة من ان والديه يسمعان صراخي جيداً، ولكن بالنسبة لهما هذا أمر طبيعي فمن حق الزوج -حسب منطقهما- تأديب زوجته. أنقدتني مكالمة من صديق لعلي وجعله يخرج دون أن ينطق بأي كلمة. وبعد أن عاد ليلاً فرحاً بمزاجٍ جيد عانقني وأنا أصطنع النوم وكأن شيئا لم يحدث قبل ساعات.

-4-

على هذه الشاكلة استمرت أول سنة من زواجي بعلي واستمر العنف واعمال المنزل غير النهائية وحتى أني حاولت في هذا العام مناقشة علي بالموضوع ولكن كان نقاشاً عقيماً فهو يرى أن ضرب الزوجة حق سماوي للزوج وحتى عندما يحاول الاعتذار بعد ضربي(قلما يحصل هذا) يقول:
- من الذي لا يضرب زوجته... انا اسف كنت غاضباً

وكأن ضرب الزوجة عمود من أعمدة الزواج. غير أن في هذه السنة لم تكن كلها سيئة ففيها انجبتُ فاطمة. كان شعور حملها بيدي بعد الولادة مباشرة رائعاً، أحببتها بطريقة لم أكن اتصورها اطلاقاً. كنت أعتقد أني سأكرهها لانها من نسل علي ولكن العكس حدث. وفتاتي اللطيفة ساعدت أمها بوقف العنف ضدها في أسابيع الحمل الاخيرة وفي الاسابيع الأولى بعد الولادة. أكملت فاطمة أربعين يوماً بسرعة وعاد الحياة لمجراها عمل وعمل وعمل وعنف. وفي أحد الايام تعرضت عمتي لوعكة صحية عندها بدأت تطلب مني أن أقوم ببعض ألاعمال الريفية مثل تقديم الطعام للاوز وإطعام البقرة ورغم كون هذا مخالف لإتفاقنا المنعقد قبل الزواج- الكل نساه الا انا- ولكني كنت أقوم بما تطلب مني رغم خوفي من البقرة في بداية الامر واشمأزازي من الروث المنتشر بكامل الحظيرة الطينية. وسبب عدم اعتراضي هو أني ظننتت أن الامر سينتهي عندما تتحسن حالة عمتي الصحية. ومع استمرار مرضها طلبت ذات مرة أن أذهب مع سمر لجلب برسيم للماشية، رفضت الأمر رفضاً قاطعاً كيف أمسك المنجل وأجزُّ البرسيم وأنا أجرح نفسي بسكين المطبخ ؟ ولكنها قالت لي أني لن أمسك المنجل وأنما سأساعد سمر بتحميل البرسيم على ظهر الحمار فقط. وهكذا وافقت ليس لأني اقتنعت بكلامها بل لأني اذا رفضت ستذهب هي بنفسها وعندها ستبقى تشكو حتى يعود علي ويعنفني أشد العنف. ركبت سمر الحمار الأبيض اللون وتفاجأت من مهارتها بركوبه بسلاسة رغم وزنها البالغ أكثر من 40 كيلوغرام. وانا أبيتُ ركوب الحمار فسرتُ بجانبه. مررنا أنا وسمر بنهرٍ صغير يُدعى في الريف بال(بزل) ورغم انزعاجي من مرافقة سمر إلا أني أخذت أتمعن فيه فقد كان جميلاً هادئا، وحتى القصب المنتشر على جانبي البزل يعطيه منظراً جميلاً. وعندما بلغنا أحدى ضفتي البزل وأردنا أن نعبر للضفة الثانية عبر القنطرة أنتباني بعض الخوف ولكني تشجعت بعدما رأيت سمر تعبرها وهي على ظهر الحمار بسهولة غير آبهةٍ باهتزازها. بعد وصولنا لحقل البرسيم بدأت سمر بجزه فوراً بعد ربط الحمار. بينما جلستُ أنا على الجانب أناظر هذا المنظر البديع، كان البرسيم بلونه الأخضر متناسق بشكل رائع مع السماء ذات الغيوم المتناثرة. لم أشعر بالملل وأنا انتظر سمر فعيناي تارة تنظر للطبيعة وتارةً أخرى تنظر للناس الذين منهم من يرعى ماشيته ومنهم من يجز مثلنا. قاطعت سمر شرودي في الطبيعة الساحرة بقولها:

- ساعدني قليلاً

- قلت لك أني لا أعرف شيئاً عن الجز

- لا يحتاج لشيء غير القطع
- لالا مستحيل لا أعرف
- هيا ستغرب الشمس ولم احضر عشاء اولادي بعد
ألحت علي سمر إلحاحاً متواصلاً ولم تكف عنه حتى وافقت وبدأت بمساعدتها. عن طريق مراقبتها عرفت طريقة جز البرسيم، أمسك عدة سيقان برسيم بيدي اليسرى واقطعها بيدي اليمنى من أسفل الساق بالمنجل. فعلت هذا مرة واثتنان وثلاثة وفي المرة الرابعة جرحت يدي بالمنجل فصرخت متألمة:
- أخ أخ يا أمييي
فردت علي بسرعة غير مهتمة بجرحي:
- صوتك صوتك سيسمعك الناس
غضبت منها وصرخت قائلة:
- ألم أقل لك أني لا أعرف لماذا تلحين ؟
فغضبت هي الأخرى:
- وما ذنبي يا بنت الحضر، عام كامل ولم تتعلمِ الجز
استمر جدالنا قليلاً ثم أكملت الجز وحدها غير أَني ساعدتها رغم جرحي بتحميل البرسيم على ظهر الحمار وعندنا للمنزل. وهذه كانت بداية دخولي لعالم الريف الحقيقي.

-5-

شيئاً فشيئاً بدأت أعمال عمتي بالتسلل إليّ فأصبح روي ظمأ الماشية وتوزيع البرسيم من مهامي الاجبارية وكنت أكبت انزعاجي قدر المستطاع إلى ان شُفيت عمتي واستعادت صحتها. فقدمت لها بينما كانت تلاعب فاطمة في حوش المنزل:
- عمتي لا أستطيع الاستمرار، لن أعمل بأعمال الريف بعد الان.
حاولت قدر الإمكان أن اكون حازمة. في بادئ الامر لم تكلف نفسها عناء الانتباه لي واستمرت باللعب مع فاطمة لهنيهةٍ من الوقت ثم قالت:
- يا بُنيتي من سيقوم بها والله أني كبرت واا أقدر على عمل كل شيء وحدي...
فقلت مقاطعةً كلامها:
- أنا التي لا تقدر أنت تعرفنني ألم ترينني أتقيأ كل يوم وبنتي تحتاج عناية مني
- جدة فاطمة ستعتني بها ولكن عليك مساعدتي ببقية الاعمال وهي بسيطة كما تعطين لبنتك طعاماً أعطي للبقرة هكذا هي الحياة يا زينب بالمساعدة.
رددت وبدأت ملامح الغضب بالظهور على وجهي بسبب مواعظها:

- لكننا اتفقنا أني لن اقترب من الحيوانات
- مر أكثر من عام على هذا كنت غريبة وصغيرة الان انت منا وامرأة رشيدة ولديها طفلة
- لالالا لن أعمل بعد الآن عليّ اعمال المنزل وعليك الحيوانات.
قلن هذا وقد نهضت غاضبة من مواعظها الخرقاء واسلوب حديثها. لكن جملة منها كانت كفيلة بإرجاعي للحديث:
- قولي هذا لعلي فقد قال لي أنك ستساعديني، هو لا يريد امرأة تأكل وتنام فقط.
لقد غضبت واشتعلت نار بداخلي بسبب كلاهما. لقد قالت هذا الكلام لأنها تعلم بأمر تعنيف علي وتعلم أني دائما ما أرضخ له. ولكم يدفعنا الغضب لفعل أشياء مجنونة. عدت للحوش وقلت وكات أشبه بتهديد ممزوج بصراخ:
- تهددني؟ والله لن أعمل بأي أعمال لك ويكفي تمسكناً قومي لحيواناتك فأنت من ترحبين منهن لا أنا.
وبدأت فاطمة بالبكاء والعويل بعدنا سحبتها بالقوة من بين يدي جدتها، في تلك اللحظة لا أدري بماذا كنت أفكر - اذا كنت قد فكرت أصلاً- حاولت إسكات فاطمة ولكنها أبت فأمسكتُ يدها الصغيرة الطرية وعضضتها بكل قوتي كأني أُخرج كل غضب الأيام السابقة بيدها الناعمة الصغيرة التي أخذت تبكي أكثر وتصرخ. واخذتها للغرفة معي. في ذلك العصر لم أجهز العشاء عناداً ومنعت عمتي سمر من تجهيزه عناداً ايضا واستمر الامر حتى السابعة الوقت الذي من المفترض أن يعود به علي لكنه لم يعد. وخلد عمي للنوم بعدما أكل لبن رائب وخبز كعشاء. عاد علي بالتاسعة والنصف وكالعادة بدأ بكاء عمتي وشكوها مباشرة وسمعه علي حتى النهاية ثم دخل لغرفتنا، تقدم النحو السرير الذي كنت أضطعج عليه وعندها أيقنت من طريقة سيره ورائحة أنفاسه القذرة أنه مخمور حد الثمالة. قال لي بصوت جهوري:
- لما عضضتِ فاطمة ؟
- كنت غاضبة...
لم يدعني أكمل جملتي حتى سحب يدي ووضعها بفمه ذي الرائحة المقرفة وعضني بكل قوته، كنت أبكي وأصرخ بصوت يسمعه الجار السابع ولكن لم يساعدني أحد، لم يُخرج يدي من فمه حتى عندما امتزج لعابه بدم يدي وتمزق جلدها وكمقاومة يائسة مني صفعته بيدي الاخرى على أمل أن يُخرج يدي من بين أسنانه. عندما تركني كنت قد تشبعت بألم رهيب لدرجة أن الألم الذي أحسست به من ضرباته التي تلت العضة وهي ضرب باليد كصفع ولكم وحتى

قرص كان أخف بكثير من ألم العض، كان يضربني بل يفترسني ككلبٍ مسعور يهجم على دجاجة وهو يصرخ:

- بنت الكلب!! لماذا عضضتها يا بنت الكلب؟

ولو لم يدخل عمي الذي استيقظ من صراخي وأخرجني من الغرفة بكبحه لعلي لكنت ميتة بين يدي وفم علي. وهربت بسرعة لمنزل أخيه.

-6-

لقد غرقت في عالمهم. ماعدت أعرف نفسي قد مر على زواجي الآن خمس سنين- وربما أكثر- أنجبت خلالها طفلةً أخرى اسماها علي رقية وأصبحت خلالها جسداً بلا روح فارغة لا أملك أية رؤية او طموح. أستيقظ فجراً لحلب الابقار ثم أعد الفطور للجميع وأغسل الصحون بعدما يخلصون ثم أركب حماري - نعم يسمونه الآن حمار زينب- وأذهب لجز البرسيم أو أي علف آخر بملابس رثة ثم أعود من الجز لاطعم الحيوانات وأجهز الغداء ثم أغسل الصحون والملابس بعدها أنام قليلاً فأستيقظ إما للرعي بدل عمي او للجز مرة أخرى ثم أرجع لأحضر العشاء أغسل صحونه وأكمل مالم أكمله من أعمال المنزل الأخرى، أستحم وأنام ليتكرر المشهد مرة تلو أخرى تلو أخرى. أشعر أني فقدت انسانيتي وذاتي وانطفأ نور الحيوية داخلي، من يراني سيقدر عمري ضعف ما أنا عليه لم أعد أزين نفسي ولا أهتم بها ولا بجمالي، فلمن أتزين؟ فأنا لا أرى علي المخمور دائما إلا حين يعنفني لسبب سخيف أو حين ينام بجانب فراشي- بعنا السرير لسد بعض الديون- ويشهد الله أني أشمئز من نومه بجانبي كأن خنزيراً نام بجانبي وليس زوجي. لن أقص عليكم أحداث التعنيف لأنها كثيرة وتحتاج لوقت طويل لا أملكه ولن أتكلم عن بناتي لأني لا أراهن إلا قليلاً بسبب الاعمال ولعبهن الكثير ، ولن أتكلم عن اهلي الذين نسوا تقريبا أن لديهم بنت مرمية هنا فهم مشغولون بعلاج أمراض الي التي لا تنتهي. لكنَّ حدثاً مفاجأً حدث سيغير كل شيء وسيكسر روتين خمس سنوات كاملة.

-7-

على أنغام العصافير وصراخ الديوك كنت متجهة كالعادة إلى الجز على ظهر حماري، وفي الطريق هجمت علينا مجموعة من الكلاب فخاف الحمار ورماني

من على ظهره فسقطت سقطة قوية ولكني التشبث بلجامه كي لا يفر لكنه رفسني على بطني برفسةٍ شعرت أنها فجرت أمعائي، حمداً لله أن مجموعة من الاطفال والمراهقين الاخوة تواجدوا بالقرب من الطريق فساعدوني بطرد الكلاب واستعادة الحمار. ثم أكملت رغم الألم الشديد طريقي نحو الحقل جززت البرسيم ولكن عندما قدمت لأحاول وضعه على ظهر الحمار أبى جسدي أن يساعدني وكان كلما أحاول رفع كيس البرسيم يشتد الألم في بطني. حتى لمحني شاب كان يرعى أغنامه بالقرب من حقل البرسيم، أسمر البشرة أجعد الشعر فأقبل بإبتسامة خلابة:

- تحتاجين مساعدة؟

رددت عليه ببعض التلعثم فلم أكلم شابا غريب منذ وقت طويل:

- إذ...أجل من فضلك

وحمل البرسيم ووضعه على ظهر الحمار وساعدني بركوبه، ولسبب ما خلعت النقاب الذي أرتديه دائما لأظهر له وجهي وأقول:

- شكراً

- بالخدمة

ثم عاد لقطيع أغنامه وركبت أنا طريق العودة للمنزل، طوال مدة الطريق وطوال اليوم بقيت أفكر في ذلك الفتى، وفي اليوم الذي تلا اللقاء حدث نفس الشيء تقريبا إذ أقبل صوبي عندما رآني قد أكملت الجز ووضع البرسيم على ظهر الحمار، وتبادلنا في هذا اليوم أطراف الحديث فعرفت أسمه- زيد- وعرف اسمي -زينب- . وهكذا وعلى مدار عدة أيام كنا نلتقي ونتكلم ، كان رائعا أو على الأقل كنت أظنه رائعاً. أسر قلبي وأعاد لحياتي بعض النور الذي فقدته. رجعت لتزيين نفسي والاهتمام بمظهري، وكان أهم شيء حدث لنا هو تبادلنا لأرقام هواتفنا فكنت أتكلم معه كلما سنحت لي الفرصة غير مهتمة إذا كانوا يسمون هذا الأمر خيانة أو أي شيء آخر، فكنت سعيدة منتشية بأحاديثه ثم بغزله الذي لم أسمع منه شيئاً على مدار خمس سنوات من الزواج، أحببته وابدأت أفكر جديا بحياتي معه، ولكني متزوجة ولي طفلتان وهو أعزب، لكني وصلت لمرحلة من الوجد -او من كره حياتي الحالية- تجعلني اذا قال لي لنهرب معا سأفعلها بلا أي تفكير. وهذا الوجد نفسه هو الذي جعلني أدعوه لمنزلنا يوم كان الجميع في حفل زفاف أحد من الأقرباء. كان هذا الفعل قمة في الغباء ليس فقط لأني زنيت مع زيد ذلك اليوم بل لأن اذا ما رأى اي شخص غريب يدخل المنزل ستكون نهايتي بلا شك. لكن المرة الأولى مرة خير ودخل زيد وضحكنا وتكلمنا وغيرها من الأمور ثم غادر.

وأصبحت بعد هذا ادعوه للمنزل كلما كان خالياً. أعاد لي زيد شيئاً قد فقدته بل أشياء. لكن بعد شهور من علاقتي بزيد بدأت أرى ملامح شك على وجه علي فبدأ على سبيل المثال يبحث بهاتفي وجهات الاتصال ويسألني أسئلة مثل:
- هل جولك أناس عندما تجزين؟
ولكني لم أعطِ للأمر حيزاً كبيراً من تفكيري وهذا كان كارثياً، ففي يوم ذي غيوم تقول أن المطر قريب ذهبت للجز كالعادة وكان كل شيء طبيعي، جززت العشب وقدم لي زيد المساعدة وتبادلنا كالعادة أطراف الحديث واللمسات حتى سمعنا صرخة عالية:
- والله عرفت!!!!
ليخرج من خلف حقل البرسيم المجاور لنا علي هائجاً كالثور الاسباني. كان مخموراً كعادته. على عكسي كانت ردة فعل زيد سريعة فهرب بسرعة لم استوعبها، أما أنا فبقيت ساكنة حائرة في مكاني حتى امسكني علي. كنت متأكدى أنه سيقتلني. لكنه قال لي بصوت مخيف ومرعب:
- هيا إلى المنزل.
طوال الطريق كان يسبني ويلعنني ويقول:
- قالوا لي! قالوا لي لكن لم أصدق
ورأيت بعض قطرات الدموع - وربما قطرة مطر لأن الجو بدأ بإسقاط الماء بشكل خفيف- تنزل من عينيه، من كان يظن أن كائنا مثله يبكي. لم أفعل شيء خلال الطريق غير البكاء والانكار، حتى وصلنا للمنزل، وفورما وطئنا المنزل أمسكني من شعري بكل قوة وأخذ يصفعني على وجهي بكل قوة حتى سقطت على الارض فبدأ برفسي على ظهري وبطني وكليتَي رفسات أقوى من تلك التي رفسني بها حماري، وعندما حاول عمي تخليصي منه دفعه لبعيد ولأني ما عدت أقوى على النهوض سحبني من شعري ماسحا بي الارض حرفياً لا مجازياً حتى أدخلني لغرفتي وخرج وقفل الباب عليّ. وبعد اقل من دقيقتين سمعت صوت قفل الباب وهو يُفتح. لمحت سبطانة البندقية قبل أن ألمح علي، فقبل أن يوجهها على رأسي دفعتت بحركة يائسة وحاولت الهرب راكضةً، لكني سقطتُ على الأرض بعد سماعي لصوت إطلاق النار.

(تمت)